

الوجه الآخر لطه حسين

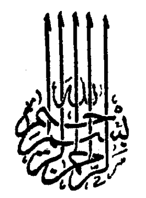
من مذكرات السيدة سوزان "معك"

أنور الجندي

دار الاعتصام

الوجـــه الآخر

لطه حســـين



هل تكتب (عصام) حول ١٥ عام

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الوجـــه الآخر لطـــه حسين

نشرت السيدة سوزان طه حسين مذكراتها عن حياتها مع زوجها فى مجلة « اكتوبر » المصرية ولما كنا قد اصدرنا كتابنا (طه حسين : حياته وفكره فى ميزان الاســـلام) فقد طلب الينا بعض القراء أن نقدم تصورنا لما كتبناه من قبل فى ضوء هذه المذكرات وعما اذا كانت هذه المذكرات تغـــير شيئا من وجهة نظرنا السابقة التى كشفناها فى كتابنا وخاصة أن الحلقات بلغت بضع عشرة حلقة وتعرضت لمواقف كثيرة من حياة الدكتور ويسعدنا أن نجيب على هـــذا التســـاؤل وهو موضع اهتمامنا ولقد كان من حق قراء الاعتصام الزاهرة علينا — ونحن نشرف بأن ننتسب الى كتابها منذ بضع عشرة سنة — أن نقول (ان ما كتبناه عن طه حســـين كان محاولة لترجمة حياة رجل دوى اسمه فى الشرق والغرب وسيطر

سيطرة كاملة على الأدب والصحافة فى الفكر سنوات طويلة وله تلاميذ وأتباع وله فوق ذلك آراء ومفاهيم . ولقد قدمنا حياة الدكتور طه حسين مدعومة بالوثائق والأسانيد ولم نعرض لأمر ما فى هذه الحياة دون أن نقدم « الوثيقة » الدالة عليه وخاصة فى مجالات البحث عن علاقاته بالاستشراق وفرنسا والصهيونية والمسيحية والشيوعية ولم نكن فى صف الاتهام له بأى حال وانما كنا محايدين) غير أن مجلة « الهلال » هى التى صبغت ذلك كله بصبغة الاتهام حين أصدرت عددها « مايو ١٩٧٧ » بهذه العناوين :

طه حسين فى تفص الاتهام .

هل كان طه حسين شيوعيا .

هل كان طه حسين عميلا للصهيونية .

هل تنصر طه حسين فى كنيسة فى فرنسا ... الخ .

ولعل القارىء المتابع لهذه المذكرات قد أحس بذلك الجو الكنائسى الملىء بالتراتيل والمزامير والقداس الذى أضفته السيدة سوزان على حياتهما الاجتماعية ، وهذا الاحتفال المتصل بأعياد العنصرة وعيد القيامة وكيف كان طه حسين يستمتع بهذه الأحفال .

وهؤلاء الكردينالات والقسس والآباء الذين يمـــلأون هـــذه الحيـــاة .

وذلك الاهتمام بأجراس الكنائس حين سمى (كلود) ا سم الذى هو مؤنس ديوانه باسمها .

وذلك الهتاف الذى سجلته السيدة لابنها حين يصبح يوم الأحد « يا صباح أحدى الجميل » تقول السيدة سوزان : عندما تأسست جامعة الدولة عام ١٩٢٥ اتخذ الطريق الى بيتنا قادمون جدد ، هناك بدأت جلسات الأحد التى سرعان ما اتسعت كثيرا فى الزمالك ، كان طه خلالها قطبا حقيقيا ، اذ ما كاد الأساتذة الأجانب الذين كانوا يؤلفون أول فريق يصلون الى مصر ، حتى يأتوا بالطبع الى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم ، وكان منهم العميد جيرايجور والفيلسوف اميـــل برهين ، وعالم الآثار الانجليزى بحرندور والشخصية الســـاحرة سكايف الذى كان أســـتاذا للأدب الانجليزى وسالمر وسانياك .

ونحن نعرف معنى هذا تماما / لقد فتح طـــه حسين أبواب الجامعة (وكلية الآداب بالذات) للمستشرقين وعتاة الدراسات التبشيرية والتغريبية ليحطموا فى نفوس أبناء أمتنا كل عقائدهم ومقدساتهم فكان لابد أن يصلوا أول الأمر عند هذه (القاعدة) التى بنوها فى مصر ، ومن هنا نجد أن السيدة

سوزان تقول انه عندما ترك طه الجامعة اعلن هؤلاء الأساتذة انهم لن يدخلوا الجامعة الا اذا عاد هو ! وهذا ليس مما يفسر على أنه مكانة عالية لطه حسين وانما هو فى الحقيقة علامة على التبعية .

وتقول السيدة طه حسين : وخاصة تلك اللقاءات التى كانت تتم بوجه خاص مع اناس قادمين من خارج مصر والتى كانت تزداد بنسبة مثيرة وكانت حصيلتها محاورات خصبة بالنتائج وتبادل الأفكار واتهامات مختلفة بقدر ما كان ينتج عنها أيضا حجارة جديدة من أجل البناء الذى كان طه يتابع انشاءه بكتبه ونشاطه .

ونحن نعرف أن هذه الجلسات كانت مصدر تلك القنابل المحرقة التى كان طه حسين يلقيها على الاسلام والتاريخ الاسلامى والفكر الاسلامى يوما بعد يوم ، وانها كانت مصدر الوحى لدراساته المختلفة التى سبق بها المستشرقون أنفسهم الى تصورات تهدم التراث الاسلامى حتى لتقول السيدة طه حسين أنه كتب اليها مرة يقول : « ان ابحاثى الشخصية تصل الى نتائج كبار المستشرقين نفسها . اتدرين اننى قررت الا اقرأ أبحاثهم الا بعد أن أنجز أبحاثى لأكون على علم بها فقط » .

ومعنى هذا فى تقديرنا أن طه قد تمكن من العقيدة الاستشراقية بمفاهيمها الى الدرجة التى لم تجعله فى حاجة

الى أن يقرأ للمستشرقين ، ونحن نعجب كيف أن طه طابق المستشرقين أو سبقهم أو تابعهم فى آرائه المختلفة .

١ — فى رأيه فى الشعر الجاهلى الذى سبقه به مرجليوت .

٢ — فى رأيه فى المتنبى الذى سبقه به بلاشير .

٣ — فى طريقة كتابه هامش السيرة التى سبقه بها الكاتب المسيحى فلاق .

٤ — فى نظرية فى الأدب والنقد التى سبقه بها تين وبرونتير .

٥ — فى نظرية أن الدين نبت من الأرض ولم ينزل من السماء كما سبقه بها دوركايم .

٦ — فى رأيه أن وجود ابراهيم واسماعيل لا دليل عليه تاريخيا وقد سبقه بها هاشم العربى .

(٢)

ونعجب لأن السيدة طـــه حسين تكرر دائما عبـــارة أن الطلبـــة حمـــلوه على الأعنـــاق وان الطلبـــة هتفوا له وان الأزهريين حضروا محاضراته فى الجامعـــة الأمريكيـــة وصفقوا له . نحن نعرف كيف كانت الحزبية تنظم هـــذه الاحتفـــالات فلا تخدعنـــا ابدا ونعرف أن المصريين يحبون « الفرجة » فهم يجتمعون فى المحاضرات لا ليسمعوا طه حسين ولكن ليشاهدوه بعد أن عزل من الجامعة أو أخرج من الوزارة أو أى موقف آخر فليس هـــذا دليلا على الحب والولاء ، وليس له أى دليل على المتابعة فى الرأى .

نحـــن نعرف كيف كان الطـــلاب يحملون الأســـاتذة فى مظاهرات الأحزاب ونعرف أن طه حسين عنـــدما سافر الى الصعيد وهو وزير المعارف كان يفاجأ بأن يهتف باسمه فى كل محطة يقف فيها القطار يبتسم ويحيى هؤلاء ظنا منه أن الأمة كلها خرجت لاستقباله وقد تبين من بعد أن حزب الوفد قد حجز عربة لمجموعة من (الهتيفـــة) كانوا ينزلون من القطار عندما يقف ويتقدمون الى الديوان الذى يجلس فيه فيهتفون أمامه ثم يسرعون بركوب القطار .. ويا للسخرية ! .

(٣)

ولقد عرفنا من مذكرات السيدة سوزان طه حسين : صورة تدعو الى التساؤل :

لماذا هذا الاهتمام الخطير بالاتصال بالأحزاب والصراع والخصومة مع زعماء الأغلبيـــة — أول الأمر — والانتماء الى احزاب الأقلية ، ثم تحوله بعد ذلك ، لماذا هذا الصراع مع الاحزاب وهو الرجل الأديب المدرس فى الجامعة والعالم الذى يجب أن يحتفظ بطابع العلماء وحده .

ولقد اجبنا على ذلك فى كتابنا : أن طه حسين يعتصم بالأحزاب ويقوى مركزه بها ليكون اكثر قدرة على تحقيق ما هو مطلوب منه ، فى تغيـــير المناهج وفى تعيين الأساتذة وفى استقطاب الأجيال التى تسير وراء خطته وتحمل آراء التغريب والغزو الثقافى .

وتسود مذكرات السيدة سوزان صورة الولاء الأجنبى واضحة وذلك فى عدة مواضع منها زيارته لايطاليا واشتراكه فى مؤتمر المستشرقين .. تقول : كان المطران تيســـيران (ولم يكن قد أصبح كاردينالا بعد) يعرف طه معرفة جيدة فأخذه من ذراعه وقال لى مبتسما : « لا تقلقى سوف أعيده اليك » وكان المطران تيسيران هو الذى قدم طه الى البابا بيوس الحادى عشر وكان بيوس الحـــادى عشر مستشرقا وكان قد اراد استقبال مؤتمر المستشرقين وقد وجه لطه كلمات فى منتهى الرقة كما وجه الى أيضا مثلها .

وبعد الجلسة الأولى تنازل (نلينو) عن رئاسة القسم لطه ونحن نعرف معنى هذا كله وتقدير هؤلاء جميعا والكنيسة الكاثوليكية كلها لأفضال طه حسين ، ونعرف معنى أن يضعوه على رأس مؤتمر الاستشراق . تقول : ولم يسبق أن حدث هذا الأمر اطـــلاقا . ونحن نعرف أن طـــه تميز عن جميـــع الذين اصطنعهم الاستشراق .

وتصور السيدة سوزان كيف أن جميـــع المستشرقين

فى انحاء الأرض كانوا اذا مروا بمصر زاروا دار طه حسين : وان جورج حنين والأب قنواتى كانوا يأتون بأصدقاء يمرون عبر القاهرة الى بلد آخر ، وانها كانت وطــه يلتقون بهم فى بلادهم بعد : فى فرنسا او فى ايطاليا .

وتعجب الســيدة سوزان لأن المشايخ كانوا يحاورون بصداقة من الأدباء الدومينكان أو مع رئيس كلية الأسرة المقدسة الأب العزيز (فارغو) أو الأستاذ جورج درينتون مدير معهــد الآثار أو المطران ديبس أو ادبل أو اينا ميل او موسكاتيلى ... الخ .

وندهش لهــؤلاء المشايخ ، فليس هؤلاء الا مصطفى عبد الرازق وامين الخولى وبعض الأذلاء الطامعين فى نفوذ طه حسين للحصول على درجة أو منصب .

ولقد اضفت السيدة سوزان على مذكراتها روحا كنسيا وطابعا مسيحيا خالصا مما يدهش له القارىء ، ويعجب كيف عاشت هذه السيدة فى مصر خمسين سنة ولم نستطع ان ينشرح صدرها لطوابع مصر الاسلامية ، بل على العكس من ذلك ظل بيتها سجنا رهيبا للغة الفرنسية فلم يكن أحد فيه يتكلم العربية حتى ابن عميــد الأدب لم يعرف العربية وقــد استطاعت أن تبنى ذلك الحاجز الخطــير بين مصر وتقاليدها وقيمها العربية الاسلامية وبينها فظلت حتى آخر

ايامهـــا لا تكتب ولا تتكلم ولا تعيش فى الا فى جو فرنسى وما فى حياتها شىء أبدا يوحى بالروح العربية أو الاسلامية فهى فى ليلة عيد الميلاد تستمع الى قداس منتصف الليـــل من الراديو تبحث عن محطـــة فرنسية ، وهى لا تستقبل الا هؤلاء القساوســـة والكردينـــالات الفرنسيين الغربيين . لقـــد عاشت هـــذه السيدة فى مصر هـــذه المـــدة الطويلة دون أن تتمصر أو تتعرب او تجد رائحة هذا الجو وانما عاشت فى تعصب واصرار على جوها الفرنسى الغربى المصطنع .

ولقد كشفت السيدة طه حسين تلك الصورة القاتمة التى كان يعيشها الدكتور طه حسين ، ازمات وراء ازمات واحداث متوالية من الضيق والمصاعب والمشاق والتطلعات والبحث عن الموارد الجديدة من كل مكان فما صفت الحيـــاة يوما وهى فى كل هذه الحلقات تعطى انطباعا سيئا مظلما متجهما لحياة طه حسين وأيامه وقد صورته بصورة الرجل الخائف المذعور الذى تنتابه الأحداث من كل ناحية فاذا به ينقبض ويعتزل ويغلق بينه وبين الناس الأبواب ولا يستطيع أن يرفع راسه الى السماء ليدعو الله أن يفرج عنه .

• وتقول الســـيدة : على الرغم من دعوة الجامعـــة والصحيفة (جريدة السياسة) فقد بقى وضـــعنا المادى فى منتهى السوء وبعـــد مماطلة ومضايقات انتهى المجلس الى الموافقة على زيادة ضئيلة قدرها أربعة جنيهات للأساتذة .

لقد كان ذلك عام ١٩٢٢ ومع ذلك فقد ظلت السيدة تردد هذه النغمة طويلا فما احست ابدا أن كل ما جاء به طه حسين من التاليف والصحافة والجامعة يكفى ليحقق طموحها فى الحياة على اعلى مستوى .

تقول : « كل ما كان فى السنوات التالية ينذر باستمرار اذ كان كل ذلك عاجزا عن أن يؤمن ما يسمى بمورد ثابت » .

ومع ذلك فالأستاذ سلامة موسى فى حديثه مع طه حسين فى الهلال سنة ١٩٢٤ يحسد طه حسين على ذلك المستوى الذى لم يصل اليه هؤلاء ابدا .

واعطت السيدة سوزان صورة مزعجة لطه حسين الذى كان قد تحول الى نموذج اجنبى خالص حيث يشكو لها فى رسالة بعض الأزمات ابان غيابها ثم يقول : « عندما رجعت الى البيت : ذهبت مباشرة الى الصورة وركعت امامها وقصصت الأمر عليها بصوت عال » . هكذا كان يفعل هذا الرجل الذى كتب تاريخ الاسلام يركع أمام صورة ويشكو لها ، الا يشكو الى الله خير له ؟ وهى تصور طه حسين وقد غرق فى ترنيمات الكنائس واجراسها وتراتيلها مع الاعجاب الصادق بجو الأحفال الكنسية والموسيقى الفرنسية على نحو يعجب له القارىء .

يقول : « بالأمس كان عيد العنصرة ومرة اخرى ترد الى خاطرى بصفاء بالغ ذكرى عيد العنصرة فى (بار دونيه) ، كنت قد استمعت الى القداس فى الكنيسة من الأعلى ، وكان الخورى العجوز قد قرأ انجيل يوحنا ، كان : (سلاما اترك لكم سلامى أعطيتم) انجيل يوحنا — ثم كررت على مسامعك (تقول لطه) هذه الكلمات بانفعال :

أذكر هذا الصباح وافكر فى ذلك التوافق السرى الذى وحدنا دوما فى احترام كل منا للآخر ، كنت غالبا ما تحدثنى عن القرآن وكنت تقرأ التوراة وكنت اتحدث الى يسوع ، كنت تردد فى كثير من الأحيان اننا لا نكذب على الله . . . الخ .

وتتحدث عن شىء آخر جد خطير ، فطه الذى كان مؤهلا لأن يطرح من الأفكار ما يشاء له المخطط المرسوم ان يطرح كان حريصا على أن يكون له سناد من الحزب الذى يحميه وكان حريصا على الا يحال بينه وبين نشر آرائه وافكاره المسمومة : تقول : انه هاجم القصر ، لا لكى يدافع عن الحكومة ، وانما لأن القصر يريد الحد من حرية المعتقدات فالأديان المعترف بها هى التى ستكون مسموحا بها فى مصر والملحد لا يستطيع ان يعلن نفسه ملحدا فهل يسع الانسان الذى دافع عن كل الحريات وفى المقام الأول حرية الضمير أن يبقى لا مباليا ! » .

وتقول : « نعم فقد كان يريد طه أن يبقى الباب مفتوحا لكل الأديان والنحل والمذاهب » وهى تسمى ما حدث بعد صدور الشعر الجاهلى بثورة الجهل والغضب وتصور نقد النقاد له بعبارات عجيبة فتقول : هذه الأحكام البليدة والتحيز الأخرق والحقد الحاسد ضد انسان شريف وجره الى المحكمة والتهديد بالموت الذى كان وراء اقامة حراسة على مدخل بيتنا أمام باب الحديقة خلال عدة أشهر .

وتقول : انه كان يستعيد فى سنواته الأخـيرة تلك العقبات التى كان يواجهها والرفض الذى جوبه به والهزء بل الشتائم من أولئك الذين كانوا بحاجة الى مرور زمن طويل حتى يتمكنوا من الادراك . وتقول : ادراك ماذا ؟.

لقـد صـدق هو نفسه حـين عبر فى آخر حيـاته عن حصاد حياته بعد أن تحطمت كل النظريات التى قدمها وبان عوارها وتكشف فساد كل الدعوات التى حاول أن يقيمها ولم تكن عبارته التى سجلتها السيدة سوزان الا رمزا لهذه الحياة : « هل يمكن أن نجعل من الأعمى قائد سفينة » .

وتقدم السيدة سوزان صـورة لذلك التناصر الخطير الذى قدمه المستشرقون والكردينالات ورجال الفكر الغربى لذلك الرجل وكيف استقبله البابا وفى كل مؤتمر كانت هناك

محاولات ضخمة لتكريمه واعـــلاء شأنه ، نياشين وتحف وهدايا وتحيات .

كان يكتب له أحدهم (بيرغستراسة) هذا الاهداء :

طه حسين الذى يناضل فى الصف الأول فى سبيل تقدم الروح العلمية .

ولما أخرج من الجامعة اعتصم المستشرقون (وادال ، جرانت ، بيرغستراسة) وقالوا : لن نعود حتى يعود طه . وكتب المستشرق ليفى ديلافيدا مصـــورا مدى الخطر على خططهم من خروج طه من الجامعة ومدى جزعهم على أهدافهم التى كان يمثلها حين قال : احزنتنى هذه الأخبـــار بصورة عميقة . ان تاريخ النضال من اجل الحرية العلمية لم يستكمل مسيرته بعد ولكن ذلك سيتحقق يوما وانى على اقتناع بذلك وسيتحقق ذلك بانتصار روح الحرية والحقيقة بأن المأساة التى أصابتكم ستكون عارضة وانى لعلى يقين من ذلك لأن قضية كقضيتكم بل أقول قضيتنا هى من القضايا التى لم تكن خاسرة فى يوم من الأيام .

ونقول لهؤلاء : لقد خسرت قضيتكم أخـــيرا وانكشف فسادها .

ذلك بعض ما قدمته لنـــا مذكرات السيدة ســـوزان واليك هذه الملاحظات :

كان الدكتور طه حسين حريصا على أن يصور نفسه للناس على أنه غضنفر لا تجتاحه الأحداث ولا تنوشه السهام فهو قائم دائما مقام الدفاع عن نظرياته .

ولكن مذكرات السيدة كشفت عن صور مغايرة تماما لذلك فهى تقول مثلا : انه فى قضية اسماعيل صـــدقى ، مر طه حسين بساعات يائسة الى حد انه اعترف لى (طه) بعدها أنه فكر كثيرا فى الانتحار .

وتقول : لقد حدث لنا شيء مذهل أطلق هو نفسه عليه وصف (الشيطان) فقد وقع نتيجة الارهاق والمرض والوضع الفاضح وتمسكه فى عزل نفسه عن النـــاس فريسة احدى النوبات السوداء المحنقة التى كثيرا ما عرفتها ، كان اذ ذاك يحبس نفسه وراء صمت شرس مخيف كما لو أنه سقط فى أعماق حفرة لا يستطيع أى شيء على الاطلاق أن ينتزعه منها ، كانت حياتى تبدو كأنما قد توقفت وانسحقت بلا أمل فى مواجهة عزلة مطلقة يفرضها على نفسه ورفضه العنيد سماع أقل كلمة تريد أن تحاول معونته .

وهى تتحدث عن عمله فى كوكب الشرق بعد أن خرج

من حزب الأحرار وانضم الى الوفد دون أن تشير الى ذلك ادنى اشارة ، عندما ترك اصدقاء الأمس وهددهم فى كوكب الشرق بفضح اسرارهم ولكن الذى يهم السيدة ســوزان هو الموارد المادية فقط .

تقول : « كان يعمل فى جريدة كوكب الشرق كما يعمل محكوم عليه بالأشغال الشاقة فقد كان يقضى فيها كل ساعات الصباح وعندما حل الصيف كانت الحرارة لا تطاق وكان المتطفلون الذين يغيظونه يوجدون دوما عنـــده فى اللحظة التى يكتب فيها مقاله » .

أمر لا يكاد يصـــدق ، كيف أنهم لم يدركوا انهم كانوا يسببون له المزيد من التعب بتطفلهم هذا .

وتقول : « انه اندفـــع فى الكتابة فأقيمت دعوى على الصحيفة ، وذهب طه عدة مرات الى النيابة . أما هى فكانت قد سافرت الى فرنسا لأنها لا تحتمل صيف مصر وتركتـــه فكتب اليها يقول : يبدو انى اهنت الشيخ الأكبر وكل المشايخ ورئيس الوزراء وكل الوزراء بل ربما أهنت فى النهاية كل الناس ، كان ذلك عملا أحمق وشريرا ، بل ان المحقق نفسه لم يخف اشمئزازه مما كان يعمـــله وكنت اود لو سمعت اجاباتى الساخرة » .

تقول : « واستمرت الخصومات التى لا تطاق مع مالك عنيد ، لم يستطع طه أن يتابع العمل فى هذا الجو فالنحاس يشجعه معنويا من ناحية وتقنطه اللامبالاة العامة من جهة اخرى » واخرج جريدة الوادى ، وتقول انه كان « يتشاجر مع الآلات التى لم تكن تسـير ، ويشكو من الورق الذى لا يرسلونه وحروف الطباعة التى لم تكن تكفى » .

وتصور كيف كان الموقف بعد اخراجه من الجامعة فتقول :

كان يدفع غاليا ثمن جريمته فى أن يكون انسانا حرا ، الا انهم كانوا يريدون سحقه حقا هـذه المرة اذ لم يكتفوا بطرده من الكلية التى كان عنوانا لعزتها وكرامتها وقوة نابضة فيها ، وانما أرادوا احراق كتبه فأخذوا منه بيته الذى يسكن فيه وأغرقوه بالشـتائم وحاولوا أن يحرموه من كل وسيلة للعيش بمنعهم مثلا بيع الصحيفة التى كان يصدرها وبانذارهم البعثات الأجنبية فى مصر بالكف عن أن تقدم له عروضا للعمل ولابد هنـا من الثناء على الجامعة الأمريكية فى القـاهرة التى تحدت هـذا الانذار وطلبت الى طـه تقديم مجموعة من المحاضرات الأمر الذى قدم له دعما لا يقدر بثمن .

تقول : ولم يقف الأمر عند هـذا الحـد فان القوى قد تنادت لنصرته وسأله كبيرهم (ماسنيون) عما اذا كان

على استعداد للذهاب للولايات المتحدة وتوالت دعواته الى المؤتمرات .. اصدقاء فى فرنسا وفينا وايطاليا (ليتمان وبيرغسترا وبونكر) وغيرهم .

وكانت تصور باعجاب موقف طه حسين وهو يرثى كبار رجال الاستشراق باسم الجامعة المصرية وكيف زار الجامعة العبرية بالقدس وكيف وقف يرلى بول دومير (مؤسس الكوليج دى فرانس) وما ادراك ما الكوليج دى فرانس انه المعهد الذى يخرج قادة التغريب فى بلاد المسلمين .

تقول : « وقف طه يلقى خطاب الجامعة المصرية فى جلسة مهيبة فى القاعة الكبرى بجامعة السربون ، وعندما وصلنا طه وانا الى المنصة الكبرى نزل بول درجات المنصة وجاء الينا وتناول ذراعى طه بذراعيه فصفق الحاضرون تصفيقا بلغ من القوة حدا اثار ذهول أمى » نعم واكثر من هذا يحدث : اليس رجلهم فى مصر والشرق ، الم يكن أعظم ثمرة فى الشجرة كلها : هذا الذى سموه رينان الشرق .

وكانت السيدة سوزان تعرف مهمة طه حسين وقد افلتت العبارات منها اكثر من مرة لتكشف هذا الدور .

فهى تقول : « لم يكن مثله بالذى يقبل أن يقوم بدور محـــدود » .

« ثم ان هنا معركته ومستقبله مهما يكن هنا مصيره ورسالة وجوده » .

وتقول فى كتاب كتبته لوالدتها : « اننا نصنع على كل حال أشياء ستبقى ولن يستطيع أحد فيما أظن أن يقوضها » .

وتقول : « لما عاد عميدا من جـــديد كانت كل أنواع الأفكار تدور فى رأسه وكان عليه أن يضعها موضع التنفيذ » وكان هو يقول « انك تعرفين هـــذا النوع من الرضا الذى يعقب القيام بالواجب وان المرء على مستوى الرسالة التى كلف بها رغم المصاعب التى يواجهها » وكانت تشيد بمحاضراته فى الجامعة الأمريكية وجمعية الشبان المسيحيين التى كان يحتشد فيها الألوف .

كان واضحا من هذه الصورة كلها ، زيارات المستشرقين والمحادثات الطويلة التى كان يصنع فيهـــا موضـــوعاته ، ومقابلاته هنالك والاحتفاء به ، وجورج حنين والأب قنواتى الذين يأتون اليه بكل من يمر بالقاهرة من الآباء والكردينالات والمطارنة .

وهم لا يتوقفون عن تشجيعه فيكتبون له بين حين وحين ، تقول جوزيه كابورنى : « فى دوامة التيارات الثقافية المتضادة اتخذتم موقفا وناديتم بشجاعة نادرة بحق التفكير بحرية وسرعان ما غدوتم رجــل الساعة ووجهتم القــوى الروحية فى هذا البلد فى اتجاه لا يستطيع أحد أن يتنبأ بمآله » .

وفى مصر كان لطفى الســيد وعبــد العزيز فهمى ، وثروت ، وعلى عبد الرازق وعشرات من الذين يســيرون على نفس الدرب كانوا من حوله دائما .

وتتحــدث عن الزواج المختلط وتنحى باللائمــة على الشيخ محمد بخيت الذى انتقد الزواج المختلط . وتنسى أن طه حسين نفسه قبل سفره الى أوروبا حمل على المصرى الذى يسافر الى أوروبا ويتزوج أجنبية . وقالت أن الشيخ بخيت قال لطه حسين : لو كنت حرا لاشترعت قانونا ينفى كل مصرى يتزوج أجنبية يا دكتور طه ، ما هى الأسباب الحقيقية التى حملتك على الزواج من أجنبية ، وأنت مصرى فكيف أقدمت على هذا العمل .

* * *

هــذا قليل من كثير تقدمه مذكرات السيدة ســوزان وملاحظتنا أن السيدة سوزان لم تتمكن من استيعاب حياة

طه حسين استيعابا كاملا وغفلت عن جوانب كثيرة من ادق مراحلها ووجوه كثيرة من ابرز معالمها .

ولكننا نستطيع ان نقول انه فى حدود ما رسمته السيدة سوزان فان طه حسين كان يعيش فى ثلاثة محاور :

١ ـــ حياة شخصية من الناحية المادية تتطلب الجهد البالغ لاعطاء المادة وتجرى التفسيرات كلها حول صورة الفقر ومحاولة الخروج منه والجرى الى حد الانهـــاك فى سبيل توفير حياة رضية بينما كان الدكتور طه يحصل على مرتب استاذ جامعة ومرتب محرر فى صحيفة الأحرار الدستوريين فضلا عن مكافآت كتبه ومقالاته هنا وهناك وما كانت تقدمه الجامعة له ولزوجته بمثابة بدل ســـفر واقامة الى مؤتمر سنوى للاستشراق او لغيره ولا ريب أن هذه الصور التى رسمتها السيدة سوزان مبالغ فيها وهى توحى بأن الدافع الذى كان يسوق حياة طه حسين هو الكسب المادى فكان يلهث وراء الموارد لتمكين الســـيدة من أن تحيـــا حيـــاة ارستقراطية باذخة .

٢ ـــ حياة رجل مريض الأعصاب يسقط بين آن وآن ويغمى عليـــه مرة ومرة ولا يستطيع ان يقـــاوم الأحداث وتفترسه الوحدة والصمت اياما كلما ادلهمت الأحـــداث

ويركع امام الصورة وامام الايقونة ويحدثها وربما يقول لها كلمة أخرى .

٣ ـــ الصـــورة المغـــايرة لصـــورة الصلف والغرور والاستعلاء والبطولة الزائفة والشجاعة الــكاذبة التى كان طه حسين يصور بها نفسه فى مقالاته بينما تصوره مذكرات زوجته فى صورة مغايرة تماما .

٤ ـــ الصـــورة الكنسية فى أصدقاء كردينالات وآباء ورهبان وفى اعياد مسيحية وفى مناسبات غربية وفى طوابع تومىء بانفصال طه حسين تماما عن الحياة المصرية والعربية والاسلامية بكل ملامحها فكأنه ليس اكثر من رجل مستشرق غـــربى اجنبى يعيش فى بلادنا . وآية ذلك انه لم يستطع ان ينقل زوجتـــه واولاده الى المحيط العربى وظلت زوجته الى اليوم وهى مصرة على وجودها الأجنبى وجوها الأجنبى بينما غيرت زوجات كثير من الأدباء الذين تزوجوا بأجانب حياتهم ، وبقيت رامتان لا يؤذن فيها الله ولا تنطق فيها كلمة عربية ولا حول ولا قوة الا بالله .

❋ ❋ ❋

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨، شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣٦٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٦٠٠

الترقيم الدولى ٢ — ٠٥ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧